

## المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن لابن مرزوق الخطيب

شارف محمد

جامعة معسكر

[boughtob1981@gmail.com](mailto:boughtob1981@gmail.com)

### الملخص:

سنحاول في هذا البحث، دراسة شخصية من الشخصيات التي لعبت دورا هاما في الحياة الثقافية ببلاد المغرب، وكذا دراسة نموذج من النماذج الثرية في التاريخ الجزائري في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، أما الشخصية فهي ابن مرزوق الخطيب، وأما النموذج فهو تأليفه المعنون بـ "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن"، وهو في سيرة السلطان المريني الرابع عشر، أبي الحسن علي بن عثمان المريني، صاحب الآثار المعروفة، والذي شارك في وقعة طريف ضد العدوان الصليبي على الأندلس في عهد بني الأحمر، وهذا المؤلف مهم في موضوعه، ذلك أنه كُتِب من لدن رجل من الحاشية، يعرف المترجم له معرفة كبيرة

الكلمات المفتاحية: ابن مرزوق ؛ المسند ؛ أبو الحسن ؛ السلطان.

### Abstract :

Nous allons essayer dans cette exposer une étude sur une personnalité qui ont joué un role important dans la vie culturelle du Maghreb, ainsi qu'un modele d'etude des modeles de textes suivis dans l'histoire Algerienne au VIIIe siecle ; la personnel c'est « Ibn Marzouk al-Khatib, et le modele qu'il a écrit c'est « Al-mousnad as-sahih al-hassan fi maathir maoulana Abi Al-Hassan », ce livre qu'il parle au biographie du al-Soltan Al-marini XIV , Abou Al-Hassan Ali ibn Othman ; ses effets bien connus, qui ont participé dant la batail de Tarif, ("Batalla del Salado" en espagnol) avec Abi Al-Hajjaj Youssef, contre l'espagnol, ce livre est important, dant leur sujet.

**Mots clé :** Ibn Marzouk ; Al-mousnad ; Abou Al-Hassan ; al-Soltan.

### مقدمة

عرفت دول المغرب العربي في القرن الثامن، أو لنقل منذ سقوط دولة الموحدين سنة 1269م العديد من الصراعات بين المرينيين والزيبانيين والحفصيين، مما أثر سلبا على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وخلق نوعا من التمزق في جسم المغرب الإسلامي، وأصبح لكل دولة عاصمة، ومؤيدين، وعلماء، ومؤرخين، والقارئ

لكتب مثل العبر لابن خلدون، والإحاطة لابن الخطيب، والفارسية لابن قنفذ، إضافة إلى كتب إسماعيل ابن الأحمر، يدرك ما آلت إليه الأوضاع في ظل الصراع المذكور.

في هذا الوضع ولد وترعرع ابن مرزوق الخطيب العجيسي، والذي ينحدر من أسرة اشتهرت في تلمسان بالمشاركة في الحياة العلمية، وبرز منها مجموعة من الأعلام المعروفين، وقد عاش ابن مرزوق في ظل عدد من سلاطين الدولة المرينية، التي اتخذت فاس عاصمة لها، وقد عاصر السلطان أبا الحسن علي ابن عثمان، وأولاده من بعده، وقد حظي لديهم بمكانة مرموقة، جلبت لها العديد من الحساد.

انطلاقاً من ذلك سنحاول دراسة هذه الشخصية، ومكانتها لدى المرينيين في القرن الثامن، إضافة إلى دراسة وثيقة هامة في موضوعها، وهي كتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، والتي ألفها صاحبها بعد عشرين سنة من وفاة مخدومه المترجم له، بغض النظر عن الدوافع التي أدت به إلى كتابته، مع إبراز مكانة هذا الكتاب في الدراسات التاريخية التي عنيت بتاريخ المرينيين، ولا نزعم أن الكتاب فريد في موضوعه، ذلك أن ابن الأحمر قد كتب عن المرينيين، وابن قنفذ قد كتب عن الحفصيين، لكن أهم سمة تميز الكتاب هي دورانه في فلك شخصية محددة، ألا وهي شخصية أبي الحسن، من خلال صفاته الجسمية والخلقية، وكل ما يتعلق به من جهاد وصبر وحلم، وسفر ومراسلات، وغير ذلك مما لا نجد في المؤلفات المذكورة.

وقد اتبعنا الخطة التالية:

- ترجمة ابن مرزوق
- مؤلفاته
- بين ابن مرزوق الخطيب ولسان الدين ابن الخطيب
- المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولاي أبي الحسن
- ظروف تأليفه:
- قيمته
- أقسامه
- نماذج منه
- خاتمة

### ترجمة ابن مرزوق الجد<sup>1</sup>:

عائلة ابن مرزوق من العائلات المشهور في تلمسان، على غرار غيرها من العائلات، مثل المقري والعقباني، وقد برز منها عدة علماء في شتى العلوم الشرعية، من حديث وتفسير وفقه وتصوف، ويكفي أن نذكر منها "ابن مرزوق الحفيد" صاحب "شرح مختصر خليل"، وابنه "الكفيف" تلميذ "ابن حجر العسقلاني" و"عبد الرحمن الثعالبي" وغيرهما<sup>2</sup>، وذلك انطلاقاً من شجرة النسب التالية<sup>3</sup>:

محمد بن مرزوق (الرابع) الخطيب (711هـ/1311م - 781هـ/1379م)

مؤلف المسند الصحيح

أحمد الثاني

محمد السادس (الحفيد) 766هـ/1365م - 842هـ/1439م

محمد السابع (الكفيف) 824هـ/1421م - 901هـ/1495م

أحمد الثالث (حفيد الحفيد)

فشخصية محمد ابن مرزوق معروفة وبارزة، فهو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ابن محمد ابن مرزوق الخطيب شمس الدين، ولد بتلمسان، سنة 710هـ/1311م، من أكابر علماء المالكية في عصره، له مشاركة في فنون الأدب والدين والعلم، كان موطن أسرته بعجيسة بزاب إفريقية، فانتقلت إلى تلمسان صحبة الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين الإشبيلي في أواخر القرن السادس الهجري، وفي ذلك يقول ابن خلدون: «كان سلفه نزلاء الشيخ أبي مدين بالعباد، ومتوارثين خدمة تربته، من لدن جدهم خادمه في حياته، وكان جده الخامس أو السادس، واسمه أبو بكر بن مرزوق، معروفا بالولاية فيهم»<sup>4</sup>، رحل مع والده، وهو في الثامنة عشر من العمر، إلى الحجاز، فحج وزار وجاور، كما اجتمع ببعض المشيخة الذين أخذ عنهم. ثم سافر للمرة الثانية منفردا عن أبيه، فدخل بلاد الشام ومصر، وروى هناك عن عدد من العلماء تلك البلاد، فضلا عن علماء بجاية وتونس وفاس، وقد أورد أسماءهم في فهرسته المسماة: "عجالة المستوفز المستحاز في ذكر من سمع من المشائخ دون من أحاز، من أئمة المغرب والشام والحجاز"، برز في عدة علوم، ومنها الحديث الشريف الذي ألف فيه، وفي ذلك يقول "إنه لا يوجد اليوم من يسند أحاديث الصحاح قراءة وسماعا من باب الإسكندرية إلى البرين والأندلس غيره"، وقد ذكره تلميذه ابن قنفذ بقوله: «وكان له طريق واضح في الحديث، ولقي أعلاما من الناس وأسمعا حديث البخاري وغيره في مجالس مختلفة، ومجلسه جمال ولين معاملة. وله شرح جليل على "العمدة" في الحديث و"البردة"»<sup>5</sup>.

وبعد أن تتلمذ في البلدان المذكورة، أمره والده بالعودة إلى بلده لتأسيس عمه محمد بن مرزوق خطيب جامع السلطان أبي الحسن بالعباد، وصادف في طريق العودة السلطان أبا الحسن المريني<sup>6</sup> محاصرا لتلمسان، سنة 733هـ/1332م، فنزل كما أمر، ولم يلبث العم أن مات، فأقامه السلطان مكانه، فأظهر علما واسعا، مما جعله يستخلصه لنفسه، يقول ابن مريم في بستانه: «ولقي السلطان أبا الحسن محاصرا لتلمسان، وقد شيد مسجدا عظيما، وكان عمه محمد بن مرزوق خطيبا به على عادتهم في العباد، وتوفي فولاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمه، وسمعه يخطب على المنبر ويشيد بذكره في خطبته، ويثني عليه، فحلي بعينه فقربه، وهو مع ذلك يلازم ابني الإمام<sup>7</sup>، يأخذ نفسه بلقاء الفضلاء والأكابر والأخذ عنهم<sup>8</sup>». وقد خصه السلطان أبو الحسن المذكور بالعاية، وقربه إليه، بل وجعله خطيبا في أي مسجد من المساجد التي يؤمها في أسفاره، يقول ابن الخطيب - وكان معاصرا له - «وصرف وجهه إلى المغرب، فاشتمل عليه السلطان أبو الحسن اشتمالا خلطه بنفسه، وجعله مفضى سره وإمام جمعه وخطيب منبره وأمين رسالته»<sup>9</sup>

ومن المعلوم أن أبا الحسن المريني قد ذهب إلى الأندلس لمساندة المسلمين في حربهم ضد الصليبيين، خصوصا بعد هزيمة المسلمين في معركتهم السابقة، 740هـ/1339م، وبالفعل فقد ساند ملك غرناطة أبي الحجاج يوسف المؤيد بالله، وجرت معركة عرفت في التاريخ بمعركة طريف<sup>10</sup>، انتصر فيها المسلمون على مملكتي قشتالة والبرتغال، وما يهمنا هنا أن ابن مرزوق كان من بين الذين حضروا الواقعة مما جعله أبا الحسن يكلفه ببعض السفارات إلى تلك النواحي، يقول ابن خلدون: «وحضر معه واقعة طريف التي كان فيها تمحيص للمسلمين؛ فكان يستعمله في السفارة عنه إلى صاحب الأندلس. ثم سفر عنه، بعد أن ملك افريقية، إلى أدفوشن ملك قشتالة في تقرير الصلح، واستنقاذ أبي عمر تاشفين. كان أسر يوم طريف؛ فغاب عن تلك السفارة عن واقعة القيروان»<sup>11</sup>.

وبعد عودته من السفارة استأذن ابن مرزوق أبا عنان في إعفائه من الخدمة، وعاد إلى تلمسان، وهي تحت سيطرة بني زيان، فأوفده الملك أبو سعيد<sup>12</sup> إلى دولة بني مرين في مهمة سياسية، لكن خصوم أبي سعيد أسروه وأودعوه السجن، وبقي مدة قبل أن يطلق سراحه وينطلق إلى غرناطة، سنة 752هـ / 1351م، فنزل عند السلطان أبي الحجاج ابن الأحمر، فقربه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء مدة سنتين يقول ابن خلدون: «ولما خلص السلطان إلى الجزائر داخله أبو سعيد صاحب تلمسان في السفارة عنه إلى السلطان أبي الحسن، وصالح ما بينهما، فسار لذلك، ونقمه أبو ثابت وبنو عبد الواد، ونكروه على سلطانهم. وسرحوا صغير بن عامر في اتباعه، فتقبض عليه وأودعوه المطبق. ثم أشخصوه بعد حين إلى الأندلس فاتصل بأبي الحجاج صاحب غرناطة، وولاه خطابته لما اشتهر به من إجادة الخطبة للملوك بزعمهم<sup>13</sup>»، ثم استدعاه أبو عنان بعد استيلائه على تلمسان، فنظمه في أكابر الدولة، ثم أوفده إلى تونس عام 758هـ/1357م ليخطب له بنت السلطان أبي يحيى أبي بكر الحفصي<sup>14</sup>، لكن الخطبة ردت ووشي بآب ابن مرزوق فأودعه أبو عنان السجن، قبل أن يطلق سراحه بين يدي موته (كانت وفاته سنة 759هـ / 1358م).

ولما تولى السلطان أبو سالم المريني<sup>15</sup>، سنة 760هـ / 1359م، أعاد له منزلته ومكانته العلمية، وجعله من المقربين إليه، أكثر من أي شخص آخر في البلاط، «وكان مؤامره ونجي خلوته والغالب على هواه، فانصرفت إليه الوجوه، وخضعت له الرقاب، ووطئ عقبه الأشراف والوزراء، وعطف على بابه القواد والأمراء، وصار زمام الدولة بيده، وكان يتجافى عن ذلك أكثر أوقاته حذرا من سوء المغيبة، ويزجر من يتعرض له في الشكاية، ويردهم إلى أصحاب المراتب والخطط بباب السلطان، وهم يعلمون أنه قد ضرب على أيديهم، فنقموا ذلك وسخطوا الدولة من أجله. ومرضت قلوب أهل الحل والعقد من تقدمه، ونقّس عليه الوزراء ما ثبت له عند السلطان من الخط، فتربصوا بالدولة، وشمل هذا الداء الخاصة والعامة»<sup>16</sup>.

لكن الأمور لم تجر بما كان يشتهي ابن مرزوق، ذلك أن الأحوال كانت في تغير مستمر، نظرا للصراعات والدسائس، من ذلك ما جرى سنة 762هـ / 1360، إثر الانقلاب الحكومي الذي ذهب ضحيته فسُجن للمرة الثالثة، ليطلق سراحه بعد مدة قد تكون قرابة السنتين، ذلك أننا نجد يلتحق بالحفصيين في تونس سنة، 764هـ / 1362م، حيث أكرمه السلطان أبو إسحاق بن أبي زكريا<sup>17</sup>، وصاحب دولته أبو محمد بن تافراكين (تافراجين)، وولياه خطابة جامع الموحدين، وبقي هناك سنوات، قبل أن تدفعه السياسة إلى المغادرة صوب البلاد المصرية، فنزل الاسكندرية ومنها إلى القاهرة، حيث تلقاه العلماء وأكابر الأعيان، وأوصلوه إلى السلطان الأشرف شعبان بن الحسين<sup>18</sup>، هذا الأخير الذي أكرمه وولاه الوظائف العلمية، والخطابة حيث درّس في الشيخونية والضرغشية والنجمية، وفي ذلك يقول: «فحللت بالديار المصرية، ولقيت من ملكها الذي لم أر في الملوك مثله حلما وفضلا وحياء وجودا وتلطفا ورحما، السلطان المالك الملك الأشرف ناصر الدين والدنيا شعبان بن حسين، فأحسن لي وأجرى علي وعلى أولادي ما قام به الحال» وبقي كذلك إلى أن توفي سنة 781هـ / 1379م، ودفن بمقبرة القرافة الصغرى.

### مؤلفاته<sup>19</sup>:

لقد ترك ابن مرزوق الجهد العديد من المؤلفات، لكن أغلبها - كما هي العادة في معظم النصوص القديمة - مفقود أو مخطوط، فلا نعرف إلا أسماءها، وقد أوردها الشيخ عبد الرحمن اجيلالي في تاريخ الجزائر العام، وعادل نويهض في معجمه، كما يلي:

- 1 - عجالة المستوفز المستحاز في ذكر من سمع من المشائخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز. وهي في ذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن مرزوق، وقد أورد بعضا منها ابن الخطيب في الإحاطة، والمقري في نفع الطيب، ويقال إن شيوخه قد بلغوا ألفين.
- 2 - تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام.
- 3 - شرح الأحكام للصغرى لعبد الحق الإشبيلي.
- 4 - شرح الشفاء للقاضي عياض. ذكره في كتابه المسند في الباب الحادي والعشرين، والمتعلق باشتغال السلطان أبي الحسن بالحديث الشريف، وذلك في قوله: «وقرأت بين يديه غير مرة كتاب الشفاء، وفضله معروف،

وثناء الجلة عليه مشهور، وهو معروف البركة، وقد كتبت مقدمة في شرحي له المسمى بـ «شرح الشفاء»<sup>20</sup>

- 5 - إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب
- 6 - تحفة الطرف إلى الملك الأشرف
- 7 - المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن. وهو الكتاب المحقق والمنشور عن المكتبة الوطنية بالجزائر، من تحقيق المستشرق الإسباني، ماريّا خيسوس بيغيرا، وهو موضوع الدراسة، مع الإشارة إلى أن عنوانه فيه اختلاف طفيف: فمرة يذكر بعبارة أخبار السلطان ومرة أحاديث السلطان، لكننا سنلتزم هنا بما ورد في النسخة المحققة بعنوان: "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن".
- 8 - كتاب الإمامة.
- 9 - إيضاح المرائد فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد.
- 10 - شرح صحيح البخاري. ذكره في مسنده بقوله: «وقد أودعت جملا من أخبار البخاري وفضله، وفضل كتابه، في مقدمة علقته أول الكتاب الذي حررت فيه أسانيده»<sup>21</sup>
- 11 - شرح البردة.
- 12 - ديوان خطب وقصائد.
- 13 - كتاب في التنجيم.
- 14 - جنى الجنين في فضل الليلتين.
- 15 - الأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء. لعله المؤلف المذكور في المسند، والذي قال عنه: «وقرأت بين يديهم - رضي الله عنهم - الأربعين التي خرجتها من مروياته، رضي الله عنه عن مشايخه، الذين كتبوا له بالإجازة من المغرب، وهي في جملة الكتب المحبسة بجامع القرويين»<sup>22</sup>
- 16 - كتاب جمع فيه ما قيل في الصبر.
- 17 - المنتزع النبيل في شرح مختصر خليل.

### بين ابن مرزوق الخطيب ولسان الدين ابن الخطيب

عاش ابن مرزوق في القرن الثامن الهجري، وهو العصر الذي أنجب كلا من ابني خلدون (يحيى وعبد الرحمن)، وغيرهما من الأعلام، وقد عاصر ذا الوزارتين الأديب والمؤرخ لسان الدين ابن الخطيب، ولد ابن مرزوق سنة 710 هـ أو 711 هـ وولد ابن الخطيب سنة 713 هـ، فهما إذن متقاربان في السن، هذا الأخير الذي أورد بعض أخباره، إضافة إلى المراسلات التي كانت تجري بينهما، في كتابه "الإحاطة في أخبار غرناطة"، والتي نقل طرفا منها المقرئ في نفع الطيب، وقد أحببنا إدراج بعض منها هنا لسبب واحد، وهو أن ما كتبه المترجمون عن ابن مرزوق قد استند في مجمله على مصدرين، هما ابن الخطيب وابن خلدون، بمعنى أن الترجمتين الأخيرتين كانتا من "شاهدي عيان"، وقد ذكر ابن الخطيب صاحبنا ببعض الأوصاف الدالة على التحلة والاحترام، نذكر منها قوله:

«هذا الرجل من طرف دهره ظرفا وخصوصية ولطافة، مليح التوسل، حسن اللقاء، مبذول البشر، كثير التودد، نظيف البزة، لطيف التأني، خير البيت، طلق الوجه، خلوب اللسان، طيب الحديث، مقدر الألفاظ، عارف بالأبواب، درب على صحبة الملوك والأشراف، متفاض لإيثار السلاطين والأمراء... عظيم المشاركة لأهل وده والتعصب لإخوانه، آلف مألوف كثير الأتباع والعُلق، مسخر الرقاع في سبيل الوساطة، مجدي الجاه، غاص المنزل بالطلبة، منقاد للدعوة، بارع الخط أنيقه، عذب التلاوة متسع الرواية، مشارك في فنون من أصول وفروع وتفسير، يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف، فلا يعدو السداد في ذلك، فارس منبر غير جزوع ولا هيب»<sup>23</sup>.

أما عن شعره، فقد ذكر ابن الخطيب قطعة ارتجلها ابن مرزوق، أثناء جولة خارج قصر الحمراء بغرناطة، مع السلطان أبي الحجاج يوسف الأول، وهي قوله:

يَحْكِي النُّجُومَ إِذَا تَبَدَّتْ فِي الْحَلْكَ  
عَمِيَتْ بِصِيرُهُ مَنْ بَعِيرِكَ مَثَلْكَ  
فَمَحَاسِنُ الْأَيَّامِ تُومِي هَيْتَ لَكَ  
فَيُقَالُ فِيهِ دَا مَلِيكَ أَوْ مَلِكٌ<sup>24</sup>

أَنْظُرْ إِلَى النَّوَّارِ فِي أَغْصَانِهِ  
حَيَّ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ قَدْ  
يَا يُوسُفُ حُزَّتْ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ  
أَنْتَ الَّذِي صَعَدَتْ بِهِ أَوْصَافُهُ

وهناك قصيدة أخرى قالها مخاطبا لسان الدين، وكان قادمًا على مدينة فاس، وفي هذه القصيدة مدح

للسلطان أبي عنان:

يَا قَادِمًا وَاقِي بِكُلِّ نَجَاحٍ  
هَذَا ذُرَى مَلِكِ الْمُلُوكِ فَلُذْ بِهَا  
مُغْنِي الْإِمَامِ أَبِي عَنَانَ ذِي النَّدَى  
مَنْ قَاسَ جُودَ أَبِي عَنَانَ ذِي النَّدَى  
مَلِكٌ يَفِيضُ عَلَى الْعُقَاةِ نَوَالُهُ  
فَلِجُودِ كَعْبٍ وَابْنِ سَعْدَى فِي النَّدَى  
مَا أَنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ  
بَسَطَ الْأَمَانَ عَلَى الْأَنَامِ فَاصْبَحُوا  
وَهَمَى عَلَى الْعَافِينَ سَيْبُ نَوَالِهِ  
فَنَوَالُهُ وَجَلَالُهُ وَفِعَالُهُ

أَبْشِرْ بِمَا تَلْقَاهُ مِنْ أَفْرَاحٍ  
تَنْلِ الْأَمْنَ وَتَقْرُ بِكُلِّ سَمَاحٍ  
تَطْفُرُ بِبَحْرِ فِي الْعَلَى طَفَّاحٍ  
بِسِوَاهُ قَاسَ الْبَحْرَ بِالضَّخْضَاحِ  
قَبْلَ السُّؤَالِ وَقَبْلَ بَسْطَةِ رَاحٍ  
ذَكَرَ مَحَاهُ مِنْ نِدَاهُ مَاحٍ  
مِنْ أَرْبَحِي لِلنَّدَى مُرْتَاحٍ  
قَدْ أَلْجَفُوا بِظِلِّ جِنَاحٍ  
حَتَّى حَكَى سَحَ الْعَمَامِ السَّاحِ  
فَاقَتْ وَأَعَيْتَ أَلْسِنَ الْمُدَّاحِ<sup>25</sup>

كما أتبعها بنثر يقول فيه<sup>26</sup>:

«والحمد لله يا سيدي وأخي على نعمه التي لا تحصى حمدا يؤم به جميعنا المقصد الأسنى، فيبلغ الأمد الأقصى، فطالما كان معظم سيدي للأسى في خبال، وللأسف بين اشتغال بال، واشتغال بلبال، ولقدومكم على هذا المقام العلي في ارتقاب، ولمواعدكم بذلك في تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب، فما أنت تحتلي، من هذا

المقام العلي، لتشيعك وجوه المسرات صباحا، وتتلقي أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحا بحول الله،  
ولسيدي الفضل في قبول مركوبه الواصل إليه بسرجه ولجامه، فهو من بعض ما لدى المحب من إحسان مولاي  
وإنعامه، ولعمري...»

### المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولاي أبي الحسن ظروف تأليفه:

المتصفح لكتب التراجم والتاريخ العام يجد العديد من الأحداث المهمة التي تثير طريقه في معرفة الظروف  
والأحداث التي مرت بها الدول، وأثر ذلك على الأعلام المترجم لهم، وذلك ما نجده على سبيل المثال في تاريخ  
ابن خلدون، وكتاب الاستقصا لدول المغرب الأقصى للناصرى، وغيرهما، وهناك نوع آخر يتعلق بتاريخ مخصوص،  
مثل الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية لابن قنفذ القسنطيني، والذي كتبه بناء على رغبة في إبراز العلاقات والروابط  
العائلية بينه وبين الحفصيين، الذين كانت أصولهم من قسنطينة، أما المؤلفات التي خصصها أصحابها لحقبة من  
الحقب الخاصة بدولة بني مرين فنذكر منها، كتاب الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية لابن أبي زرع، والذي  
شمل ستة أبواب، تبدأ من قيام الدولة إلى فترة أبي يوسف بن عبد الحق (السلطان الخامس)<sup>27</sup>، دون أن ننسى  
اسماعيل ابن الأحمر، والذي كان معاصرا لابن مرزوق، ومقربا من أبي عنان في فاس، من خلال مؤلفيه: روضة  
النسرين وحديقة النسرين، وكلاهما في أخبار بني مرين.

وإذا كانت سيرة السلطان أبي عنان ماثورة في رحلته التي سطرها الكاتب والمؤرخ ابن الحاج النميري في  
"فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب"، فإن صاحبنا ابن مرزوق قد خصص  
لأبي الحسن والد أبي عنان الكتاب الذي نحاول دراسته، ألا وهو المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا  
أبي الحسن، (معظم المترجمين يذكرون "في أخبار" بدل "مآثر ومحاسن")، وهو في سيرة السلطان المريني العاشر أبي  
الحسن علي بن عثمان، الذي تولى من 732هـ / 1331م إلى 749هـ / 1348م، والكتاب من إصدارات  
المكتبة الوطنية في سلسلة النصوص والدراسات التاريخية، سنة 1981 من تحقيق الدكتورة ماريّا خيسوس بيغيرا،  
وتقديم محمود بوعيايد مدير المكتبة.

تجدر الإشارة أن تأليف المسند لم يكن في حياة أبي الحسن، ولا في حياة ابنه أبي عنان وأبي سالم، لأنه  
كان مكرما في حياتهم جميعا، وإنما تم ذلك بعد عشرين سنة من وفاته، أي في حياة أخيهم الثالث، أبي فارس،  
ولكن الأمر لم يتم كما أراد مؤلف المسند، ذلك أنه عوض التوجه إلى فاس، بعد إتمام كتابه، إلا أن وفاة أبي فارس  
حال دون ذلك فاتجه إلى الديار المصرية، وقد ذكر ابن مرزوق في نهاية كتابه تاريخ الفراغ منه، بقوله: «وعذر من  
استعجل تقييده في تسع آخرها أوائل شهر رمضان المعظم من عام اثنين وسبعين وسبعمائة ما مول القبول عرف  
الله تعالى بركته وخيره بمنه وفضله»<sup>28</sup>. وفي هذا الصدد تذكر الدكتورة خيسوس الداعي إلى كتابة المسند، وخيبة  
ظن المؤلف، حيث تقول: «إن هذه الظروف هي التي حملته على العودة إلى المغرب، وإلى كتابة المسند الذي أراد  
أن يرضي به السلطان أبا فارس، وذلك من جهتين: فهو إرضاء من جهة إذ يطنب في مدح والده السلطان أبي



الحسن، ومن جهة أخرى يعيد إلى ذاكرته المكانة التي كان يحلها ابن مرزوق أثناء حياة والده. ولكن ابن مرزوق لم يحصل هدفه، ولم يعد إلى الحضرة المرينية»<sup>29</sup>.

فابن مرزوق -إذن- قد عن له أن يؤلف كتابه بدافع الرغبة في إبراز مكانة السلطان أبي الحسن، خصوصا وأنه كان مخدومه الأول، وقد جعله خطيبا مكان عمه المتوفي، وقربه إليه، وأعلى مرتبته في بلاطه الملكي، فضلا عن الخصال التي تميز بها هذا السلطان، والأعمال التي قام بها، فهو الذي جمع شمل المغاربة، وشارك في معركة طريف بنفسه، ضد الغزو الصليبي، إلى غير ذلك من الفضائل التي نجدها مبثوثة في ثنايا المسند، وفي غيره من المصادر، بغض النظر عن المبالغة في بعض الأحيان، ومما تميز به هذا السلطان هو بناء العديد من المنشآت والمدارس الموجودة إلى الآن في العديد من مدن المغرب، وهذا لا يتنافى من كونه أراد إهداء عمله لابن فارس، تقربا منه أملا في العودة إلى سابق عهده في ظل المرينيين.

يقول في المقدمة: «بادرت حين تعذر أمني، وتغيرت في الوقت طريقي إلى محله الشريف وسبلي، أن أتقرب إليهم بما يجدد في حضرتهم العلية ذكره، ويرى إسناد حديثي الصحيح وخبري، ورأيت أني قد حصلت مناقب مولاي المرحوم ما لم يحصله من صنفي غيري، فأهديت حلاهم إليهم، وقدمتها وسيلة بين يديهم، ورجوت أن تكون وسيلة مقبولة، وبالمواصلة المعهودة موصولة، وللقرء بالحضرة الكريمة مأهولة، وعلى أحسن وجوه التأويلات محمولة، وبكفاية مقامها العلي مكفولة، وسيوف العناية على من تعرضها أو مصنفها بالطن من حاسد مسلولة، فاستخرت بالله وصنفت مختصرا وجيزا في مناقبه العلية، ومفاخره السامية»<sup>30</sup>.

#### قيمه

كما أسلفنا الذكر، فإن للمسند أهمية تاريخية تتمثل في تسجيل أحداث هامة في تاريخ الدولة المرينية في أحد أهم عصورها، إضافة إلى احتوائه على مجموعة من النصوص الثرية والشعرية، كاستشهاده في كل باب من أبواب الكتاب بأحاديث شريفة، وأقوال الصحابة والتابعين، إضافة إلى ذكر نصوص من كتب سابقه، كابن عبد الملك المراكشي صاحب الذيل والتكملة، وأبي القاسم التحيبي السبتي صاحب البرنامج، أما المقطوعات الشعرية فأكثر من أن تحصى، ومنها على سبيل المثال قصيدة أبي إسحاق الإلبيري، في التحريض على قتل يوسف بن إسماعيل اليهودي، والتي مطلعها:

#### أَلَا قُلْ لِسَنَهَاجَةَ أَجْمَعِينَ      بُدُورِ الزَّمَانِ وَأُسْدِ الْعَرِينِ<sup>31</sup>

إضافة إلى بعض التراجم التي استفاد منها من أتى بعد ابن مرزوق كابن الأحمر وابن القاضي والمقري والناصري وغيرهم، خصوصا وأنه كان ملازما للسلطان علي بن عثمان في بلاطه، وحتى في سفراته وغزواته، مما يجعله يعرف عنه الكثير.

وسنحاول هنا معرفة الأهمية التي يكتسبها هذا الكتاب ضمن المدونة التاريخية في المغرب العربي، وسنكتفي هنا ببعض الأمثلة التي حاولنا مقارنتها انطلاقا من ملاحظة المحققة حول إمكانية استفادة المقري من بعض المعلومات المذكورة في المسند، والتي يكون قد استفاد منها الناصري في الاستقصا بطريقة غير مباشرة، بمعنى

أن هذا الأخير يمكن أن يكون قد اطلع على نسخة من المسند، أو أنه ينقل عن المقرئ، وربما يكون قد استفاد من مصادر أخرى، كابن خلدون وابن الأحمر وغيرهما، يقول المقرئ: «ومن أراد الوقوف على أخباره فعليه بكتاب الخطيب ابن مرزوق الخطيب الذي ألفه فيه، وسماه المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن»<sup>32</sup>. وهي كالآتي:

### الحديث عن مصحف عثمان - رضي الله عنه -

لقد ورد ذكر عناية السلطان أبي الحسن بالمصحف العثماني -الذي صار إليه، وأخذه معه في سفراته-، عند ابن مرزوق، في الباب الثاني والخمسين، حيث يقول:

«ولم يزل هذا المصحف في خزائن ملوك تلمسان من بني عبد الوادي، إلى أن افتتحها إمامنا المرحوم، في أواخر شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، كما تقدم. فحصل على هذا المصحف الكريم وقال: " لو لم يحصل لنا من فتح هذه المدينة إلى حصول هذا المصحف الكريم تحت أيدينا". ثم لم يزل إمامنا رضي الله عنه يعمل فيه بعبادة الموحدين من تقديمه أمامه إلى أن أصيب في وقعة طريف « إلى آخر الحديث، الذي يدل على حرص هذا الملك على تقديم المصحف المذكور، والحرص عليه.

وقد نقل المقرئ في "نفع الطيب" معظم الأقوال التي وردت في المسند عن تاريخ هذا المصحف، من ذلك ذكره طريقة وصول المصحف إلى الموحدين، وعلى الرغم من أننا نستبعد النقل الحرفي من المسند، كون المصاحف الأربعة مشهورة، وقد ذكرها العديد من المؤرخين والرحالة، إلا أن المقرئ يذكر عناية "أبي الحسن" بالمصحف، انطلاقاً من اطلاعه على ما ذكره ابن مرزوق، حيث يقول:

«قال الخطيب ابن مرزوق في كتابه "المسند الصحيح الحسن" ما ملخصه: وكان السلطان أبو الحسن لا يسافر إلا ومعه المصحف الكريم العثماني، وله عند أهل الأندلس شأن عظيم، ومقام كبير، وكيف لا؟ قال ابن بشكوال: أخرج هذا المصحف من قرطبة، وغرّب منها وكان بجامعها الأعظم ... وهذا أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الأمصار: مكة، والبصرة، والكوفة، والشام»<sup>33</sup>.

### نسخ المصحف الشريف

يذكر ابن مرزوق أن السلطان المذكور، قد عكف على نسخ كتاب الله تعالى، وقد ذكر ذلك في الفصل السادس من الباب الخامس والخمسية، (الباب الأخير من المسند)، حيث يقول: «كان دأب إمامنا رضي الله عنه العكوف على نسخ كتاب الله في الزمن الذي يخلو له من النظر فيما طوقه، حسبما قدمته في وظائف أعماله، لئلا يخلو له وقت من عمل صالح يتقرب به إلى الله (لا حرمه الله مضاعفة أجر ذلك)، وكان قد أكد عنده هذا العمل ما منحه الله تعالى من إجادة الخط المصحفي ... وخدمت ذلك من يده مرات رضي الله عنه، بل لازمت كتبه للربعة الموجهة لمكة شرفها الله تعالى، والمكتوبة برسم بيت المقدس، والمكتوبة برسم الخليل، وكنت المعين للتوجيه بما لو ساعد القدر، ولا راد لما سبق به القضاء»<sup>34</sup>.

وقد أورد المقرئ بعض أخبار أبي الحسن، والمتعلقة بنسخ كتاب الله تعالى، ووقف تلك النسخ على المساجد التي تشد إليها الرحال، وهو يقصد الحرمين الشريفين والأقصى، وذلك في قوله: «وكان السلطان أبو الحسن المريني كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه، وأرسلها إلى المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وأوقف عليها أوقافاً جليلاً، كتب توقيعه سلطان مصر والشام بمساحتها من إنشاء الأديب الشهير ابن نُبّاة المصري... قلت: وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة، وهو الذي ببيت المقدس، وربعته في غاية الصنعة»<sup>35</sup>. وقد ذكر الناصري قصة نسخة المصحف الذي أوقفه السلطان المذكور بالحرم المكي الشريف، مع ذكر كل ما تعلق به، من تميق وتهذيب وضبط، وحتى صفة الوعاء الذي صنع لها، من ذلك قوله: «فأجمع السلطان أبو الحسن حينئذ على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف حرم مكة، قرية إلى الله تعالى، وابتغاء للمثوبة، فانتسخها بيده، وجمع الأوراق لتتميقها وتهذيبها، والقراء لضبطها وتهذيبها، وصنع لها وعاء مؤلفاً من الآبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة، وغشي بصفائح الذهب، ورضع بالجواهر والياقوت...»<sup>36</sup>.

ضربنا هذين المثالين لمعرفة مدى مصداقية كتاب المسند لدى كل من اطلع عليه، فهو يقدم لنا معلومات هامة عن السلطان علي بن عثمان، خصوصاً وأن ابن مرزوق كان من رجال الحاشية، وهذا لا يعني - بأي حال - أن كل من سرد أخبار السلطان المذكور يكون بالضرورة ناقلاً عن الكتاب المذكور، ونحن إنما ذكرنا ذلك انطلاقاً من تصريح بعض المؤرخين بوجود تلك الأخبار مفصلة في المسند، كالعبارة التي أوردناها للمقرئ، والتي ذكر فيها كتاب ابن مرزوق، وهي شبيهة بقول الناصري: «وأخباره كثيرة، ومن أراد الوقوف على تفاصيلها، فعليه بكتاب الخطيب بن مرزوق، الذي ألفه في دولته وسيرته، وسماه "المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن"»<sup>37</sup>.

ومن الذين ذكروا بعض مآثر أبي الحسن، محمد ابن غازي العثماني، صاحب كتاب، "الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"، وقد أحال على ابن مرزوق، في ثنايا حديثه عن ابن الصباغ<sup>38</sup>، مما يعني أنه قد أخذ بعض المعلومات عن المرينيين من المسند، كما أخذ عن غيره من المؤلفات المعروفة في تلك الفترة، ولا ننسى أن مؤلفه يتحدث عما تعلق بمدينة مكناس فقط، لذلك فإنه لم يبسط القول في ما عدا ذلك، يقول: «ومنهم الفقيه الشهير العالم العلامة حائز السبق في المعقول والمنقول، محمد بن أبي الفضل بن الصباغ رحمه الله تعالى، وقد ذكره ابن مرزوق الجذ في كتابه الذي صُنّف في مناقب أبي الحسن المريني... وكان من كبار العلماء الذين استصحبهم السلطان أبو الحسن المريني في حركته إلى إفريقية، كالفقيه الحافظ محمد السطّي والأستاذ الزواوي»<sup>39</sup>.

#### أقسامه

قسم ابن مرزوق مسنده إلى مقدمة، مشتملة على ستة فصول، ثم الغرض أو المتن وفيه خمسة وخمسون باباً، وخاتمة مشتملة على الأخرى على ثمانية فصول، وقد تحدث في المقدمة عن السبب الذي جعله يكتب سيرة أبي الحسن إضافة إلى الفصول الستة، والتي تدور كلها حول الخلافة، وعلاقة الخليفة بالرعية، وما إلى ذلك، وجاءت كالاتي:

- الفصل الأول: في حقيقة الخلافة لغة وشرعا.
- الفصل الثاني: في معنى الخلافة. (ليس له عنوان محدد).
- الفصل الثالث: في فضل الخلافة.
- الفصل الرابع: في وجوب طاعته، وتحريم عصيانه ومخالفته.
- الفصل الخامس: في تفضيل الحكام على المفتين، والأئمة على الحكام.
- الفصل السادس: في ما يؤمر به الخلفاء رضي الله عنهم من الرفق بالرعية، ونصيحتهم والشفقة عليهم، وتحريم عشمهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم.
- ثم ينتقل إلى الغرض المقصود، وهو الحديث عن مآثر السلطان أبي الحسن وفيها خمسا وخمسون بابا، سنكتفي منها بذكر الأبواب العشرة الأولى، والأبواب الخمسة الأخيرة:
- الباب الأول: في حسن خلقه، واعتدال مزاجه، وكمال صورته.
- الباب الثاني: في تربيته.
- الباب الثالث: في الخصال المحمودة المتعلقة بالذات المكرمة.
- الباب الرابع: في محافظته على الأعمال التكليفية والوظائف الشرعية.
- الباب الخامس: في إقامته العدل، ومحافظته على حدود الشريعة.
- الباب السادس: في رعايته آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحفظ هذا المنصب الشريف، والقيام بحقه في ليلة مولده صلى الله عليه وسلم.
- الباب السابع: في رعايته لأهل الله رضي الله تعالى عنهم، وجميل اعتقاده فيهم.
- الباب الثامن: في شدة خوفه ومراقبته، ووقوفه مع الحق.
- الباب التاسع: في حسن ظنه بالله (عز وجل)، وقوة رجائه فيه.
- الباب العاشر: في ملاحظته لأحوال رعيته.
- .....
- الباب الحادي والخمسون: في هداياه للملوك.
- الباب الثاني والخمسون: في أسفاره، وسيرته في السفر.
- الباب الثالث والخمسون: في اختصاصه بوضع القبول في الأرض.
- الباب الرابع والخمسون: في ثناء الأولياء عليه.
- الباب الخامس والخمسون: فيما اختص به من نسخ كتاب الله تعالى.
- أما الخاتمة، فتشمل الفصول التالية:
- الفصل الأول: في سبب اتصالي بهذا المولى رحمه الله.

**الفصل الثاني:** فيما كان عندي من مقدمة المعرفة باتصلي به وحظوتي لديه.

**الفصل الثالث:** فيما أولاني - رضي الله عنه - من المبرة والكرامة، وما ألبسني من الحلية والشارية، وما

طوقني من النعم، التي لا يأخذها الحصر، ولا يفني بحمدها وشكرها العمر

**الفصل الرابع:** فيما قابلني به - رضي الله عنه - مما دلني على منزلتي لديه، وأبان به قدر مكاني عنده.

**الفصل الخامس:** فيما تحمله مني - رضي الله عنه - من جهالة، حملتني عليها العزة وقلة المعرفة.

**الفصل السادس:** في جميل ظنه بي.

**الفصل السابع:** في ذكر فراقني له - رضي الله عنه -، وآخر الصحبة الفراق.

**الفصل الثامن:** في تمهيد أعذار عن أمور وقعت في هذا التأليف، لا يبعد أن يتعقب بها متعقب،

وينتقد علي بها ناقد.

### نماذج منه

سنحاول في هذه المحطة عرض نماذج من كتاب ابن مرزوق، حتى نتعرف على أسلوبه في عرض الأخبار

المتعلقة بمخدومه، ولنبدأ بالمقدمة، التي تضمنت الدافع إلى تقييد هذا التاريخ الخاص بهذا المخدوم دون سواه،

وذلك في قوله: «وبعد، فإنه لما قيدني إحسان من أحسن إلي، وأفاض إنعامه علي، ومن بمولاته شرفت، ولولا

انتسابي إليه ما عرفت، فصرت لا أجري على لساني إلا طيب شكره، ولا أقوم ولا أقعد إلا بذكر، ولا أستنشق إلا

عبير نشره، ولا أسلو عن حبه بغيره، وهو مولاي، الذي في حجر تربيته نشأت، وبين يديه اكتسبت ما به على

النظراء ظهرت، ومن أنوار حضرته العلية اقتبست، ومن المعارف المبتوثة بين يديه استفدت، مولانا أمير المسلمين

أبو الحسن علي، ابن موالينا الأمراء الراشدين، خاتمة الملوك بلا منازع، وسابقهم إلى المعلوات غير مدافع»<sup>40</sup>.

وهناك العديد من النماذج حول خصال وصفات السلطان أبي الحسن، وكذا مواقفه وأعماله، وعلاقاته

بمن حوله من الوزراء العلماء والجلساء، والتي يصعب حصرها في هذا البحث، وحسبنا اختيار نماذج منها، من

ذلك مثلا ما ورد في الباب العشرين، والذي جاء بعنوان: في محبته في العلم وأهله، وإيثاره لمن اتصف به، «فكان

رضي الله عنه أير الناس بأهل العلم وأعرفهم بقدرهم، استخلصهم لنفسه وجمعهم من سائر بلاده في حضرته، إذا

سمع بمن له رسوخ قدم في العلم أقدمه على حضرته، وجعله من خواص مجلسه، وأجرى عليهم الجرايات التي

تكفيهم حضرا وسفرا، فاجتمع بحضرته أعلام، ثم ضم لهم من كان بتلمسان وأحوازها حين استيلائه عليها، ثم

استمر هذا العمل في دخوله بلاد إفريقية، ولم يزل على هذا إلى أن توفي رضي الله عنه»<sup>41</sup>.

وفي الباب الحادي والعشرين، تحدث ابن مرزوق عما كان يؤثره السلطان من العلوم، وذكر اشتغاله

بالحديث الشريف، واستكثاره من سماع صحيح البخاري، وأن المؤلف كان ممن قرأه بين يديه، وله شرح عليه كما

مر بنا، إضافة إلى قراءة الشفا للقاضي عياض بين يديه أيضا، وقد ذكرنا عبارة ابن مرزوق، وذكره أن له شرحا

على هذا الكتاب، سماه " برج الخفاء في شرح الشفاء"، يقول ابن مرزوق: «أكثر ما كنا نقرأ بين يديه، كتاب

الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله ابن محمد بن إسماعيل البخاري، وهو الكتاب الذي لا نظر له، أحد كتب

الإسلام المعتمدة، وهو أصحها صحيحا وأكثرها فوائد، وأعظمها نفعا، وأشهرها بركة، وقد صح وثبت استفاضة وتجربة، إذا قرئ لشدة رجاء تفرجها يفرجها الله عز وجل، عرف ذلك في المشارق والمغرب «<sup>42</sup>. كما نجد اهتماما بكتب أخرى، مثل سيرة ابن إسحاق تهذيب ابن هشام، والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء لأبي الربيع سليمان بن سالم الكلاعي (ت: 634هـ / 1237م)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (ت: 430هـ / 1038م)، والمداهش لابن الجوزي (508هـ / 597هـ)، والكشف والبيان في تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي (ت: 427هـ / 1035م)، وغيرها.

وإذا انتقلنا إلى الباب الثامن والثلاثين، والذي جاء بعنوان: "في أعماله في الجهاد وغزو الكفار"، ألفيناه يتحدث في الفصل الأول عن الآيات والأحاديث الشريفة، الواردة في فضل الجهاد، ووجوب القيام به، وبيان أجره عند الله، بينما خصص الفصل الثاني للحديث عن قيام السلطان بنفسه بالجهاد ضد الكفار، وما يستتبع ذلك من تجهيز الجيش، والأسطول، «اعلم أن إمامنا رضي الله عنه كان أشد ملوك الأرض قياما بهذا الفرض بنفسه الكريمة وماله، ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه، أما جهاده بنفسه فقد علم مباشرته لذلك رضي الله عنه نفسه، وإجازته البحر لذلك، وحرصه على مباشرة ذلك بنفسه نفعه الله به، وأما إقامته حال المجاهدين، فلم يزل ذلك دأبه رضي الله عنه، فلا يزال طول دهره معمور الفكر، مشغول الظاهر بالجهاد، فلا تمر سنة إلا وله فيها تجهيز أسطول، وتجهيز غزاة رجالا وركبانا... فأكثر أمواله التي جمعها، وصارت له رضي الله عنه في سبيل الجهاد أنفقها، وفي أعماله أنفدها»<sup>43</sup>.

أما الخاتمة فتضمنت - كما ذكرنا - فصولا ثمانية، مضمونها واضح من خلال العناوين المذكورة، ولا نريد الخوض فيها، فقط نشير إلى بعض الأعداد التي ذكرها في الفصل الأخير، حول طريقته في تصنيف الكتاب، منها قوله: «فإن قيل: "مآثر مولانا رضي الله عنه في كل فصل من الفصول التي أوردتها هي أعظم مما ذكرت وأوفى مما أوردت" قلت: "هو كما قيل، وإنما قصدت الإمام بالوصف والأشعار بنوع من الصادر عنه، وإلا فلو أفردت تأليف في كل مآثره لاستقل بها"، فإن قيل: "قد أجمعت في الاختصار، وتجاوزت إلى الاقتصار"، قلت: "إنما أوردت ما أوردته قصد أن يكون في مجموع غير مفترق الأجزاء"، فإن قيل: "فلم اقتصرت على ما اقتصرت عليه من الأبواب، واقتصرت على ما اشتملت عليه الخاتمة"، قلت: "عرض مانع المرض بما أشرت إليه، وأمليت ما فيه، وأنا ملتزم الفراش، مرفوع الحرج، والمرجو من الله تعجيل الشفاء»<sup>44</sup>.

أما نحن فنرجو أن نكون قد وفقنا إلى إبراز شخصية ابن مرزوق الخطيب التلمساني، التي شكلت مع لسان الدين وابن خلدون حياة العصر في المغرب في القرن الثامن (كما ألمح إلى ذلك الأستاذ محمود بوعياذ في تقديمه)، خصوصا وأنها كانت فترة حرجة في تاريخ المسلمين في هذا القطر، والذين مزقهم الصراعات والنزاعات، بين المرينيين والزيبانيين والحفصيين، إضافة إلى الدسائس والمؤامرات، وعلى الرغم من ذلك فقد ظهرت العديد من المؤلفات التي تؤرخ لتلك الفترة بكل موضوعية، والتي منها كتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن.

## الهوامش والإحالات

- 1 - ترجمته في:  
الجيلالي، عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1994، ج131/2.  
ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1975، 103/3.  
المقري، أحمد بن محمد، فنج الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1980، 390/5.  
ابن خلدون، عبد الرحمن، التعريف بابن خلدون، ورحلته غربا وشرقا، دار الكتاب اللبناني، 1979، ص:50.  
ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن، الوفيات، تح: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة بيروت، ص: 374-373.  
المديني، ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، باعتناء محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1908، ص: 184.  
نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980، ص:289. وغيرها.
- 2 - تعود على الحفيد والكفيف، كما يمكن أن تعود على العسقلاني والثعالي.
- 3 - الشجرة الكاملة لأسرة مرزوق العجيسي الذي استقر بتلمسان أواخر القرن الخامس الهجري، في مقدمة المستشفرة مارييا خيسوس بيغيرا للمسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص:16.
- 4 - ابن خلدون، التعريف، ص:50.
- 5 - ابن قنفذ، الوفيات، ص: 374-373.
- 6 - أبو الحسن علي بن أبي سعيد بن يعقوب، توفي بجبل هنتانة، ودفن برباط سلا من ثغر رباط الفتحنة 752هـ . ترجمته في ابن القاضي درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة تونس ودار التراث القاهرة، ج247/3.
- 7 - أبو زيد عبد الرحمن وعيسى أبو موسى ابنا محمد، من فقهاء المالكية، ولدا ونشأ بمدينة برشك حيث كان والدهما إماما، تعلموا في تونس والمغرب ثم عادا إلى الجزائر، ذهبا بعدها إلى المشرق، وناظرا شيخ الإسلام ابن تيمية، قبل العودة إلى تلمسان، حيث اختصهما أبو الحسن المريني، توفي عبد الرحمن سنة 749هـ، بينما مات عيسى بالطاعون سنة 749هـ. معجم أعلام الجزائر: 22-23، تاريخ الجزائر العام، 164/2.
- 8 - المديني، ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 184.
- 9 - المقري، فنج الطيب، 391/5، ولسان الدين، الإحاطة، 104/3.
- 10 - معركة طريف أو Batalla del Salado جرت بين السلطان أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد، وأبي الحسن المريني من جهة، وبين ألفونسو الحادي عشر القشتالي، وألفونسو الرابع البرتغالي من جهة، سنة 741هـ / 1340.
- 11 - ابن خلدون، عبد الرحمن، التعريف، ص:51.
- 12 - لعله أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن أول ملوك الدولة الزيانية في دورها الثاني، تولى سنة 749هـ/1348م.
- 13 - ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر بيروت، 2000، 414/7.
- 14 - أبو يحيى أبو بكر (الثاني) بن أبي زكريا، يلقب بالمتوكل تولى في الفترة (718هـ / 1318م - 747هـ / 1346م)، ولد ونشأ بقسنطينة، دخل تونس في شهر شعبان من عام سبعة عشر وسبعمائة، ينظر سيرته في: ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، ص:160 - 168. (وبناء على ذلك فإن الوفاة كانت بعد وفاة السلطان المذكور
- 15 - جدير بالذكر القول بأنه تولى بين أبي عنان وأخيه أبي سالم إبراهيم اثنان من أبناء الأول، وهما أبو زيان محمد، والذي عزل في الحال، قبل أن يتم تولى أخيه محمد السعيد، (759هـ / 1358م). ينظر: الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2/128.
- 16 - ابن خلدون، تاريخ، 414-415.
- 17 - السلطان الحفصي الرابع عشر ( ينظر: ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، 137 وما بعدها).
- 18 - السلطان الملك الأشرف أبو المفاخر زين الدين شعبان ابن حسين، ولد عام 754هـ / 1353م، أصبح سلطانا في شعبان 764هـ / 1363 وعمره عشر سنين، وهو السلطان الثاني والعشرين ضمن المماليك، حكم في الفترة (1363 - 1377) قيل أن يقتل، ينظر: ابن تغري، جمال الدين أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج11/24.
- 19 - نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص: 290. الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج2/134.
- 20 - ابن مرزوق، المسند، ص: 277.
- 21 - ابن مرزوق، المسند، ص: 276.
- 22 - ابن مرزوق، المسند، ص: 277 - 278.
- 23 - المقري، فنج الطيب، 391/5، ولسان الدين، الإحاطة، 104/3.
- 24 - المقري، فنج الطيب، 397/5، ولسان الدين، الإحاطة، 107/3.
- 25 - لسان الدين، الإحاطة، 107/3. والناصر، الاستقصا، 192/3.
- 26 - لسان الدين، الإحاطة، 108/3.
- 27 - نشره محمد بن أبي شنب سنة 1920.
- 28 - ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص: 500.
- 29 - مارييا خيسوس بيغيرا، قسم الدراسة من المسند، ص: 66.
- 30 - ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص: 93 - 94.
- 31 - ابن مرزوق، المسند، ص: 378.
- 32 - المقري، فنج الطيب، 6/.
- 33 - المقري، فنج الطيب، 605/1.
- 34 - ابن مرزوق، المسند، ص: 474-475.
- 35 - المقري، فنج الطيب، 399/4 - 400. وقد نقل عنه الناصري في الاستقصا، 131/3.

- 36 - الناصري، الاستقصا، 127/3.
- 37 - الناصري، الاستقصا، 177/3.
- 38 - ينظر المسند، ص: 268. وبناء عليه فإن ابن الصباغ توفي شهيدا غريفا مع ابن السطي. وقد أورد الناصري حادثة غرق أساطيل أبي الحسن على ساحل تدلس (دلس حاليا)، نقلا عن المقري، إذ يقول: «وهلك من كان معه من أعلام المغرب، وهم نحو أربعمائة عالم، منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي شارح الحوفي، وأبو عبد الله محمد بن الصباغ المكناسي الذي أملى في مجلس درسه بمكناسة حديث يا أبا عمير ما فعل النغير، أربعمائة فائدة، والأستاذ الزواوي أبو العباس وغير واحد» الاستقصا: 171/3، ونفح الطيب: 214/6 - 215 مع اختلاف بسيط.
- 39 - ابن غازي، محمد، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، ط2، 1988، ص: 42.
- 40 - ابن مرزوق، المسند، ص: 92.
- 41 - المسند، ص: 260.
- 42 - ابن مرزوق، المسند، ص: 275.
- 43 - ابن مرزوق، المسند، ص: 388 - 389.
- 44 - ابن مرزوق، المسند، ص: 498 - 499.